اسم الدرس : تفسير سورة الأنعام | ح٧ | الآيات [٤٩ : ٥٣]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، -صلى الله عليه وسلم- نستكمل بإذن الله -عز وجل- تفسير سورة الأنعام، توقفنا عند قول الله -عز وجل- آية ٥٠.

انتهينا في المرة الماضية بعد ما أوضحنا الضغط الذي يضغط به القرآن على نفوس أهل الباطل، وقلنا من وسائل القرآن للدعوة أن يجعل المخاطب يعيش وضع الابتلاء، يقول له: تخيل نفسك في وسط البحر، تخيل نفسك في حال المرض، تخيل نفسك وأنت تموت، تخيل نفسك... تضعه في الأوضاع التي تدرك الفطرة البشرية فيه مدى ضعفها، فالإنسان ضعيف، فرعون الذي كان يقول (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) [النازعات: ٢٤] عندما شعر بالغرق (قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [يونس : ٩٠]، فالفطرة البشرية تعرف مواطن ضعفها، فدورك – قلنا أن من أساليب القرآن مثلما رأينا- أن تُشعر من أمامك وتوضح له وتبين له أنه سيمر بهذه المواقف، لماذا سيمر بهذه المواقف؟؛ لأنه إنسان، بشر ضعيف، والأمور تتبدل (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا) [آل عمران : ١٤٠] لا يوجد شيء ثابت، وليس معه من الأسباب ما يمنع عنه هذه الأشياء (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) [مريم : ٩٨] ، أين الذي كان يقول (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) [النازعات : ٢٤] ، أين الذي كان يقول (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) [فصلت : ١٥] ، كل هؤلاء زالوا، فالقرآن يضغط على الضعف الموجود في الفطرة.

الضعف الموجود في الفطرة هو الذي يحتاج ربنا (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الملك : ١٤]، هذا الضعف الموجود في الفطرة البشرية، لحظات الضعف هذه هي التي تتجه بالإنسان لربه سبحانه وتعالى، فدورنا أن نُذكِّره عندما يتغطرس ويبتعد و يطول عليهم الأمد في فترات الصحة والرزق وغير ذلك، نُذكرهم بفترات الضعف التي تلجأ الفطرة فيها لله -عز وجل- .

وظيفة الرسل

وقلنا (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) [الأنعام : ٤٨] قلنا أن وظيفة الرسل ليس إجابة خوارق الآيات التي يطلبها الناس، الرسل لم يأتوا لتنفيذ ما يطلبه المستمعون! نريد نفقا في الأرض...حاضر، نريد سُلما في السماء...حاضر، نريد ينبوعا في الأرض، نريد كتابا في قرطاس، نريد أن نصعد للسماء، نريد أن تصعدوا أنتم للسماء!!!، ليست هذه وظائف الرسل، إذًا ما هي وظيفة الرسل؟

معه رسالة ومبشّر ومنذر فبالتالي هناك أناس ستؤمن وأناس ستُكذب. الذي سيؤمن وسيصلح (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ () وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) [الأنعام :٤٨،٤٩].

ثم الآية التي معنا اليوم.. يقول الله -عز وجل- آمِرا النبيَّ-صلى الله عليه وسلم- أن يعلن ويقول للمشركين ولغيرهم (قل)، قلنا إن سورة الأنعام ورد بها أكثر من أربعين مرة (قل)، هجوم إعلامي للرد على الهجمة الإعلامية التي فعلها المشركون، في مواطن معينة في سورة الأنعام يجب أن تُذاع وتُعلن ب " قل"؛ منها (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) [الأنعام : ٥٠]

ربنا يأمر النبي-صلى الله عليه وسلم- أن يقول أنه لا يملك ثلاثة أشياء:

_لا يملك خزائن الله

_لا يملك علم الغيب

_ليس ملَكا

أُمر أن يقول هذه الثلاثة، لماذا أُمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يقول هذه الثلاثة؟!

_أولا: السياق، هذه في نفس السياق السابق ، أني لا أملك الخوارق التي تريدونها، أنتم تقولون (لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ) [الأنعام : ٨] نريد (كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ) [الأنعام : ٧] نريد (نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ) [الأنعام : ٣٥] ...هذا ليس عندي، و ليس عندي غيره أيضا، لكيلا تجلس تفكر و تطلب أشياء أخرى، فأنا لا أملك هذا.

(قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ) [الأنعام : ٥٠] أنا لم أقل (عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ) [الأنعام : ٥٠]

لماذا هؤلاء الثلاثة تحديدا؟

بعضهم قال: (خَزَائِنُ اللَّهِ) المقصود بها الغنى والمال، و(لاأَعْلَمُ الْغَيْبَ) العلم خاص بالمستقبل ، (ولا أقول إني ملك) هذه القوة الخارقة. قال لهم أنا لم أقل أني أغنى البشر ولا سأجعلكم أغنى البشر، ولم أقل أن عندي حل لكل مشاكلكم الدنيوية، و لا أعرف حلها، ولاأعرف ما الذي سيحدث..هذا ليس عندي، ولم أقل لكم أن لدي قوة خارقة!!!

طرح خطير

خطورة طرح الدعوة وخطورة طرح الدين على أنه لمسة سحرية ستدخل حياة الناس تصلح لهم كل مشاكلهم الدنيوية...خطر جدا هذا الطرح ، خطورة طرح الدين على أن الدين لمسة سحرية بمجرد ما الإنسان ينطق بالشهادتين أو يقترب من الدين أو يمسك المصحف أو يُقبِّل المصحف ويضعه على رأسه أو يمسح الحجر الأسود أو يُقبل الحجر الأسود...اعتقاد اللمسات السحرية التي تحدث بالدين هذا خطر!!!، أن نُوصل للناس إن الدين هكذا. أنه بمجرد أن تختارونا لأننا أصحاب دين أو بمجرد أن تؤمنوا بالكتاب هذا ستُفاجئوا بأن أَسِرَّتكم أصبحت ذهبا، وبيوتكم أصبحت مليئة بالمال، والقمامة أزيلت من الشوارع، والمطر نزل من السماء...لا ليس ضروريا!.

يجب علينا أن نُفَهم الناس مثلما فعل سيدنا نوح...نعم هناك شيء اسمه الأثر الدنيوي للدين، هذا قطعا موجود (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا) [الأعراف : ٩٦] لكن هذه خاصة بربنا (يُرْسِلِ السَّمَاءَ) [نوح : ١١] لكن أنا عبد! أنا أبلغ الرسالة، ومثلما قال ربنا أنه يفتح قال أنه يبتلي، ومثلما قال ربنا أنه يعطي قال أنه يمنع، وقال إن هذه الأشياء تحدث ابتلاء، أنا من البداية لم أطرح عليكم الدين بهذا المفهوم... فالذي يفعل هذه الأشياء هو الله وحده...هذا خلط رهيب ما بين عدة أشياء.

_أولا:- الخلط بين "مقام الألوهية والربوبية" و "مقام العبودية"

والنبي-صلى الله عليه وسلم- والأنبياء كلهم أكدوا ووضحوا هذا، وبالتالي الدعاة من بعدهم عليهم إيضاح هذا الفاصل القوي بين الربوبية والعبودية ليكون واضحا جليا عند الناس. النبي-صلى الله عليه

وسلم- كثيرا ما يقول "**إنما أنا عبد**"[١] يقول للرجل الذي قال: ومن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصيهما فقد غوى، قال: "**بئس الخطيب أنت!**"[٢] ..لأنه وضع الله مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في ضمير واحد (ومن يعصيهما)، ولما قال: ما شاء الله وشئتَ، قال-صلى الله عليه وسلم- ، "أجعلتني لله ندا؟" كان لديه حرصا شديدا على الفصل الواضح بين مقام الرب ومقام العبد، "إنما أنا عبد" و لآخر لحظة قبل أن يموت يقول: "**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"[٣] حتى وهو يموت-صلى الله عليه وسلم- يخاف من أن يحدث الغلو مثلما حدث عند النصارى.. هذا خلط.

_ثانيا: مقام الرسالة غير مقام الإصلاح الدنيوي..

هذه نقطة مهمة جدا، وتكلمنا فيها وتحتاج تفصيلا، ليس معنى أن نقول: أن مقام الرسالة غير مقام الإصلاح الدنيوي، أن هذا يعني أن الدعاة ليس لهم علاقة بإصلاح دنيا الناس...لا، بل على الدعاة السعي في إصلاح دنيا الناس ووضع برامج شرعية لإصلاح دنياهم... لكن في نفس الوقت يجب إيضاح أنه ليس بمجرد أن يقولوا آمنا ستتحول حياتهم كلها لذهب وفضة..لا، سيظل هناك سننا للدنيا تحتاج بذلا، تحتاج بحثا علميا، تحتاج تقدما وتحتاج سعيا في الدنيا...هذا الخلط... والواضح أن هذا الخلط مستمر معنا في الآيات سيأتي في قول الله -عز وجل- (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) [الأنعام : ٥٣].

---

[١] - [عن عمر بن الخطاب:] "لا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصارى ابنَ مريمَ، إنَّما أنا عَبْدٌ، فقولوا: عبدُ اللهِ ورسولُهُ"
الألباني (١٤٢٠ هـ)، مختصر الشمائل ٢٨٤ • صحيح

[٢] - [عن عدي بن حاتم الطائي:] أنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، فَقالَ: مَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسولَهُ، فقَدْ رَشَدَ، وَمَن يَعْصِهِما، فقَدْ غَوَى، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: بِئْسَ الخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ: وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسولَهُ. قالَ ابنُ نُمَيْرٍ: فقَدْ غَوِيَ.
مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٨٧٠ • [صحيح]

[٣] - [عن عائشة أم المؤمنين:] قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في مَرَضِهِ الذي لَمْ يَقُمْ منه: لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ والنَّصارى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيائِهِمْ مَساجِدَ، لَوْلا ذلكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غيرَ أنَّه خَشِيَ - أوْ خُشِيَ - أنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.
البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ١٣٩٠ • [صحيح] • أخرجه البخاري (١٣٩٠) واللفظ له، ومسلم (٥٢٩)

مقام الرسالة... الرسالة أنا قلت لك أن الرسول من عند الله، ماذا يريد؟ جاء برسالة من عند ربنا – رسالة الهدى– إذًا تطالبني بأشياء فيها هدى، بماذا جئتُ؟ بالقرآن، ربنا أنزل عليّ القرآن، لم أقل أتيت لأحول حياتكم بلمسات سحرية إلى أفضل بقعة من بقاع الأرض دنيويا!!!

إذا الناس وصلها هذا المعنى ستظل تطالبك وتضغط عليك نفسيا، أصلِح لنا دنيانا!!!... لكن أنا كداعية لا أملك هذا ، فالحل أن ننظر إلى السنن الدنيوية؛ لإصلاح الدنيا... سواء مثلما نقول: بحث، جهد، زراعة، صناعة، تجارة...أيا كان؛ لكن هذه السنن غير قضية الهدى والخوف من الدار الآخرة هذه لها طريق آخر ... لاتقل لي أنا أصبحت مؤمنا فالمفروض لأننا مؤمنون يجب أن نصبح أغنى دولة في العالم!!!

مقاطعة من أخ....

الشيخ يرد: لا، نسعى لإصلاحها تحت قواعد الشرع... مثلا كالزواج... ليس معنى أنك أصبحت مؤمنا أنه وجب عليَّ أن أوفر لك زوجةً ومسكنا وأولادا.. أنت مؤمن؛ فهل معنى أنك أصبحت مؤمنا ففجأة يأتي لك زوجة وأولاد؟ ..لا!! إذًا كيف يكون لك زوجة و أولاد؟ ستبحث عن زوجة وتأتي بالمال لكي تتزوج؛ لكنك ستفعل هذا في إطار الشرع أيضا. يعني من سيبحث عن زوجة سيتزوجها بما يرضي الله، ينظر إلى القواعد الشرعية للزواج والطلاق ومعاملة الزوجة والأولاد...كل هذه –الحياة الاجتماعية– مذكورة في القرآن؛ لكن ليس معنى أن أكون مؤمنا أقول كيف أكون مؤمنا و ليس لدي زوجة؟! كيف و نحن مؤمنون غُلبنا في أحد؟!... هذا الفكر تسرب حتى عند بعض المؤمنين يعتقد أنه بمجرد أن يمسك المصحف ستتحول حياته مباشرةً، ستتحول السيارة القديمة إلى حديثة، هو معتقد أن الحياة ستنقلب! يتمنى أن يذهب للعمرة ؟لماذا؟ يظن أنه بمجرد أن يمسح على الحجر الأسود كل حياته ستنقلب وتتغير!!!... **[اللمسات السحرية هذه ليست موجودة]** ، ولكن بالدعاء، يدعو الله سبحانه وتعالى... يرجو الله –عز وجل– يسعى في الأسباب، يأخذ بالأسباب ، هذا طريق لم أقل لك أني أملكه من البداية.

لذلك نفس هذه الثلاثة أشياء؛ إنه ليس لديه خزائن الله، ولا يعلم الغيب، وإنه ليس ملَك؛ نفاهم سيدنا نوح عن نفسه في سورة هود، لماذا نفاهم عن نفسه؟ هم قالوا له: (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا

بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) [هود: ٢٧]، ماذا يعني قولهم(وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ)؟ أي يقولوا للمؤمنين: إيمانكم لم يفعل لكم شيئاً جديداً!!!

هم قالوا له: (مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا) أنت بشر، (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا) ، ومن معك أراذل، وجميعكم (وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) ، بعد أن آمنتم ما الجديد الذي حدث؟ لم تنزل لكم سفينة من السماء، ولم تطيروا في الهواء، ولم تصبحوا أغنى منّا؛ أنتم كما أنتم!!!

هو يظن أن من يدخل في الدين سيحدث له تغير مباشر في حاله الدنيوي. ربنا قال أنه كان من الممكن أن يفعل ذلك ولكنه لم يُرِد حتى لا يُفتن الناس (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) لكنه كان سيفعلها للكفار (لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ () وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ () وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) [الزخرف: ٣٣ - ٣٥].

فالشاهد لما قالوا له الثلاثة أشياء (مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا)، (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ)،(وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) [هود: ٢٧]

سيدنا نوح في خطاب رائع في سورة هود رد على الأولى: قال لهم: نعم أنا بشر و ربي آتاني رحمة من عنده، ورد على الثانية: أنني لن أطرد المؤمنين (وما أنا بطارد الذين آمنوا) وفي سورة الشعراء ﴿إِن حِسابُهُم إِلّا عَلى رَبّي لَو تَشعُرونَ﴾[الشعراء:١١٣] ورد على الثالثة بمسألة أنا ليس لديَّ خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أني ملَك... كل هذا حتى لا تحاسبني وتقول: ليس لكم علينا من فضل.

فطرح الدين على أنه لمسة سحرية بمجرد دخول الإنسان فيه سيتحول حاله فجأة ...لا.

المثال المشهور الذي يذكر لو أن كافرا أتى ببذرة ووضعها في الأرض وسقاها وراعاها واهتم بها ستثمر، وإذا مؤمن أتى ببذرة ووضعها في الأرض وقرأ عليها آية الكرسي لن تثمر؛ لأن لهذا سنن... وربنا هو من وضع هذه السنن وأراد ذلك (كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ) أصحاب الدنيا وأصحاب الآخرة (مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)[الإسراء: ٢٠].

فمن البداية يقول لهم: أنا لم أقل عندي خزائن الله ومتحكم فيها حتى تطالبوني: أنزل لنا من الخزائن ذهبا، أنزل لنا من الخزائن فضة، أنزل لنا من الخزائن مطر...لا، ربنا يقول (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) [الحجر: ٢١].

تخيل أنك ذاهب لتقول لهم: ليس لديَّ خزائن الله، تخيل أن هذا برنامجك الانتخابي!

- ليس لديَّ خزائن الله.
- ما الذي سيحدث في المستقبل؟
- لا أعلم الغيب.
- هل فيك ما يميزك عنّا؟
- لا، أنا لست ملَك، أنا بشر مثلكم.
- ولماذا سنتبعك؟
- لأن معي وحي (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) [الأنعام: ٥٠]، تعالوا لنرى ما يأمرنا به الوحي، وثِقوا أن هذا الطريق العاقبة فيه للمتقين والخير في الدنيا والآخرة... هناك يقين أن التطبيق الكامل لهذا الدين هو طريق الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، لكن لا يلزم أن يكون لهذا الجيل، قد يحصل للجيل العاشر من الآن، لا يلزم أن نشعر نحن بهذا التمكين.

طريق الدين الكامل الذي لا يفصل –كما في العلمانية– بين الدين والدنيا، طريق الدين الكامل فيه الفوز والنصرة والنجاح والسداد في الدنيا قبل الآخرة، ولكن النبي–صلى الله عليه وسلم–كما أتته الغنائم من كل مكان في الدنيا، مر بمرحلة شِعب أبي طالب، أليس كذلك؟

والسورة التي تقول (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) أي سورة هذه؟ الأعراف [الأعراف: ٩٦]، والأعراف مكية أم مدنية؟ ومتى حدث التمكين؟ هذه الآية نزلت وهم يضربوا، نزلت وهم في وسط التعذيب في مكة ، لك أن تتخيل أن الأعراف من أواخر ما نزل في وسط التعذيب، لا أحد قال كيف هذا؟ هم يفهمون أن هذه هي العاقبة! (رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ

عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ)[القصص: ٣٧] العاقبة دائماً للمؤمنين (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الأعراف: ١٢٨].

سيدنا موسى قال مثل هذا لبني إسرائيل وهم في عز الاستضعاف (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الأعراف: ١٢٨] دائماً العاقبة تكون للمتقين.

لكن أثناء هذا الطريق يوجد بلاء وضغط وضيق في الرزق؛ هذا أثناء الطريق "**أشد الناس بلاءً الأنبياء**"[٤] هذا موجود، وهذا موجود.

فطرح الدين على أنه مجرد حل سحري لمشاكل الناس الدنيوية خطر؛ الدنيا تأتي تبعاً، لكن

[خطاب الهدى الإيماني للناس خطاب أخروي بالأصالة]

هذه قاعدة مهمة جداً... خطاب الهدى الإيماني للناس هو خطاب أخروي بالأصالة، أصالةً هو خطاب أخروي؛ البداية (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) الأول (وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأحقاف : ٣١] ثم إن شاء الله (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) [نوح : ١١] ويعطيكم في الدنيا إن أنتم أطعتموه سبحانه وتعالى.

نزع سمة الخطاب الأخروي من الخطاب الديني يفقده أهم ما فيه، ويحول الذي أمامك إلى راغب دنيا لا راغب دين، سيبيعك عند أول ابتلاء؛ وقطعا سيحدث ابتلاء، سيبيعك عند أول ابتلاء تمر به؛ لأنه قطعاً ستبتلى، فيواجه السؤال المشهور للإمام الشافعي: أَيُمَكَّن المرء أم يُبتلى؟ قال: لن يُمكّن المرء حتى يُبتلى... فلذلك قبل الفتح دائماً هناك ابتلاء.

لذلك السيناريو المشهور الآن في العالم أنه يسمح بالتمكين للإسلاميين، وبعدها يضغط عليهم اقتصادياً، فيرتبط في أذهان عامة الناس أن هذا الضغط الاقتصادي –كالذي حدث مثلا في غزة– هو نتيجة اختيار الإسلام، فتترسخ في أذهان الناس، فيبدأ الناس نظراً لحب الدنيا ونظراً لأخطاء بعض

[٤] - [عن أبي سعيد الخدري:] "أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الناسُ على قدْرِ دينِهم، فمن ثَخُنَ دينُه اشْتدَّ بلاؤُه، ومن ضعُف دينُه ضَعُف بلاؤه، وإنَّ الرجلَ لَيُصيبُه البلاءُ حتى يمشيَ في الناسِ ما عليه خطيئةٌ"
الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ٩٩٣ • صحيح • أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٤)، والطبري في «مسند ابن عباس» (٤٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٧٤) بنحوه

الإسلاميين أنهم عرضوا منهجهم إنه مجرد إصلاح دنيوي فقط ليس له علاقة بالدار الآخرة، فيرتبط في أذهان الناس أن الإسلام خيار فاشل، وبما أننا نريد دنيا!!! فينفروا من الإسلام.

بل حتى التجارب الناجحة اقتصادياً مثل تركيا أيضاً يبيعون عند أول ضغط؛ ومن دون أية ضغوط أيضاً يبيعون،إذًا هناك سنن ربانية يجب أن توضع في الحسبان .

لذلك الآية التي بعدها مباشرة (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا) [الأنعام: ٥١] الذي يريد الخزائن والفتح مباشرة؛ هذا لن يستفيد من القرآن أصلاً، هو يتبعك حتى تخبره الغيب فيه كذا وكذا وكذا، ويظن أنك قوة خارقة وأنك ملَك... هذا ليس عندنا!

فيجب أن يكون مفهوم "أنا ليس لديَّ خزائن" لابد أن يُوضح ويبين لعامة الناس... هل رأيت يوماً داعية أو أحد يدعو الناس ينفي عن نفسه صفات؟ دائماً يقول لك: عندنا كذا،وعندنا كذا، وعندنا كذا!!!... لكن لابد حتى لا يحصل خلط بين مقام الربوبية ومقام العبودية ننفي عن أنفسنا أشياء؛ ونوضح أنها بيد الله وحده.

مثل غلام قصة اصحاب الأخدود؛ عندما جاءه جليس المِلك وجلب مال كثير وقال له:

- ها أنا قد جمعت لك مالا ؛ إن أنت شفيتني، ماذا قال له الغلام؟
- قال له: أنا لا أشفي أحداً إنما يشفي الله.
- ولماذا أتيتك إذًا ؟! بل، أنت تشفي.
- قال له: أنا لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالى؛ فإن أنت آمنت بالله دعوت الله لك فشفاك.

إذا كان جليس المِلك لا يفهم ما يفعله الغلام، فسيقول أن الغلام هو من شفاه، "وهذا فرق مهم".

لذلك في الرواية الجميلة الموجودة في صحيح مسلم أن النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول: **"فقال له الغلام: إن أنت آمنت بالله تعالى دعوت الله لك فشفاك، فآمن جليس المِلك فشفاه الله"**[٥] فالرواية لم تذكر أنه دعا له، لكي نتعلق بالله تعلق مباشر.

[٥] - [عن صهيب بن سنان الرومي:]"كَانَ مَلِكٌ فِيمَن كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ له سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قالَ لِلْمَلِكِ: إنِّي قدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكانَ في طَرِيقِهِ، إذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فأعْجَبَهُ فَكانَ إذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بالرَّاهِبِ وَقَعَدَ

تخيل دكتور يكتب على العيادة "أنا لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى" لن يأتيه أحد ، لكن يجب عليه أن يعلق قلوب الناس بالله.

[تعليق قلوب الناس بالله أهم ما يُطلب من الداعية]؛ أن يربط الناس بالله، حتى لا يحصل خلط بين مقام الربوبية ومقام العبودية.

(قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ) [الأنعام: ٥٠] ليس لديَّ خزائن الله حتى لا تقولوا أنزل لنا كذا، وافعل كذا، وأخرج لنا ينبوعاً من الأرض! ليس لدي، هذه خزائن الله.

وكما قلنا في مقدمة سورة الأنعام، واستفاض الظلال في ذكرها؛ أن دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- بدأت من أول لحظاتها دعوة دينية بحتة ؛ أول لما قام على الصفا قال: **"إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"**[٦] وليس أول فعله الإصلاح الاقتصادي.

يعني كثير من الناس يقولون: لا تواجههم بأصل الدعوة، بل أصلح لهم دنيتهم أولا، ثم بعد ذلك حدثهم في الدين سيقبلوا، لكن بهذا الشكل لن يقبلوا!

والفكرة كانت تروج عند كثير من الناس خاصة مع تجربة تركيا، لكن نحن نقول هناك سنن... ربنا قال ابدأ بالدين، وأقول لهم: نمشي مع الدين وربنا -سبحانه وتعالى- يكرمنا. سنمر بمراحل؛ سنمر بابتلاءات، سنمر وسنمر... نمشي مع الدين لكن الله -عز وجل- إن شاء الله يُمَكِّن لنا؛ لكننا سنمر بمراحل ابتلاء... فعندما تصلح لهم الدنيا وتريد الحديث في الدين يقول لك: لا، أنا جئت معك لأجل

إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذلكَ إلى الرَّاهِبِ، فَقالَ: إذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وإذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبيْنَما هو كَذلكَ إذْ أَتَى علَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقالَ: اليومَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فأخَذَ حَجَرًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ إنْ كانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إلَيْكَ مِن أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذِه الدَّابَّةَ، حتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فأتَى الرَّاهِبَ فأخْبَرَهُ، فَقالَ له الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ اليومَ أَفْضَلُ مِنِّي، قدْ بَلَغَ مِن أَمْرِكَ ما أَرَى، وإنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فلا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكانَ الغُلَامُ يُبْرِئُ الأُكْمَهَ وَالأبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِن سَائِرِ الأدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كانَ قدْ عَمِيَ، فأتَاهُ بهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقالَ: ما هَاهُنَا لكَ أَجْمَعُ، إنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقالَ: إنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إنَّما يَشْفِي اللَّهُ، فإنْ أَنْتَ آمَنْتَ باللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ باللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فأتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إلَيْهِ كما كانَ يَجْلِسُ، فَقالَ له المَلِكُ: مَن رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قالَ: رَبِّي، قالَ: وَلَكَ رَبٌّ غيْرِي؟ قالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فأخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حتَّى دَلَّ علَى الغُلَامِ، فَجِيءَ بالغُلَامِ، فَقالَ له المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قدْ بَلَغَ مِن سِحْرِكَ ما تُبْرِئُ الأُكْمَهَ وَالأبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقالَ: إنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا، إنَّما يَشْفِي اللَّهُ ..... الحديث" مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٣٠٠٥ • [صحيح]

[٦] - [عن عبدالله بن عباس:] صعِدَ رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ على الصَّفا فَنادى: يا صَباحاهُ، فاجتَمَعَت إليهِ قُرَيْشٌ، فقالَ: إنِّي نذيرٌ لَكُم بينَ يدَيْ عذابٍ شديدٍ، أرأيتُمْ لو أنِّي أخبرتُكُم أنَّ العدوَّ مُمسِيكم أو مصبِّحُكُم أكُنتُم تصدِّقونِي؟ فقالَ أبو لَهَبٍ: ألِهَذا جَمعتَنا؟ تبًّا لَكَ، فأنزلَ اللَّهُ تبارك وتعالى: (تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) [المسد: ١] /الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الترمذي ٣٣٦٣ • صحيح

الدنيا لا من أجل الدين! (ما على هذا تبعتك) فلمّا تقول لي: الخمر حرام والربا حرام و...و... لن نكمل معك، وهذا ما يحدث الآن في تركيا -ربنا يعين أردوغان يا رب ويفك أزمته يا رب-.

يجب أن تكون واضحاً من البداية، النبي-صلى الله عليه وسلم- أول ما قال؛ قال: **"لا أغني عنكم من الله شيئاً"**[٧] كان واضحاً. أغلب أتباع الأنبياء هم الفقراء أصلاً. إذا أردت أن تنقل الفقراء للغِنَى سيزهدوا فيك... بمعنى إذا كنت تعتقد أن الحل بأن يصبحوا كلهم أغنياء ثم تكلمهم في الدين، هو سيشعر وقتها أنه ليس في حاجة للدين أصلاً.

(قُل لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) [الأنعام : ٥٠]

الله سبحانه وتعالى يقول (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) فهذه هي وظيفة النبي-صلى الله عليه وسلم- ، فالنبي يقول: أنا لا أملك خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أنا مَلك -صلى الله عليه وسلم- ، **ولكن معي وحي وأنا تابع له** ، وهذا قمة التجرد.

عندما تنظر إلى أغلب الناس تجد أنهم لا يحاربون الدين في ذاته ولكن يحاربون من يعتقدون أنهم تجار دين، -هذا طبعًا بخلاف رؤوس أهل الباطل فهم يحاربون الدين-لكن نتكلم عن عامة الأتباع لذلك نحن علينا أن نتجرد في الدعوة إلى أعلى درجة، فكلمة (لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) [الأنعام : ٩٠] من الأصول التي تكررت على ألسنة الأنبياء، فأنا لست أخبرك أني أملك خزائن الله فأعدك وعود خرافية، ولا آمرك بأمور لم يأمر الله بها فإنما أنا تابع، لا أطلب مالًا ولا غيره ، فالآية تجرد تام... ولذلك كلما قلَّ تجرد أهل الدين وقلَّ وضوح الرسالة -أن الداعية يريد هداية الناس إلى الله فقط- كلما ازداد سوء ظن أهل الباطل، وبالطبع فإن أهل الباطل يستغلون أخطاء العاملين لدين الله ويضخموها- يقول انظر هذا يكذب وهذا يطلب كذا...-لكي يسيئوا إلى الدين.

---

[٧] - [عن أبي هريرة:] قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ حِينَ أُنْزِلَ عليه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]: "يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شيئًا، يا بَنِي عبدِ المُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شيئًا، يا عَبَّاسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شيئًا، يا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسولِ اللهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئًا، يا فاطِمَةُ بنْتَ رَسولِ اللهِ، سَلِينِي بما شِئْتِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئًا."

مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٠٦ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) واللفظ له

(إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) [الأنعام : ٥٠] من هو الأعمى ومن هو البصير؟!

قيل فيها معاني جميلة جدا ...

ما الفكرة التي إن عاش بها إنسان في الحياة يكون أعمى، وما الفكرة التي إذا عاش الإنسان بها في الحياة يكون بصير؟!

قيل:

- المعنى الأول: الذي يظن أن خزائن الله وعلم الغيب وقوة الملائكة في يد بشر فهو أعمى، والذي يوقن أن القدرة والغنى والعلم المطلق لله فهو البصير، فكلما اعتقد الإنسان في نفسه أو في غيره أنه يملك شيء في الكون بعيدًا عن الله فهو أعمى؛ سواء يظن في نفسه أنه قادر على شيء بعيدًا عن الله، أو يظن أن فلانًا يملك حلًا لمشكلته بعيدًا عن الله؛ فهذا نوع من أنواع العمى، فعلى قدر نسبة هذه الأشياء – من العلم والقدرة والغنى– مطلقةً إلى الله لا يشاركه – سبحانه وتعالى– فيها أحد... على قدر ما يكون شدة اليقين و قمة الإبصار.

فالمعنى الاول: يدور على أن الإنسان لا يظن في نفسه ولا في أحد ممن حوله القدرة بذاته على أي شيء كما قال النبي: **"أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك"**[٨] فالنبي □ لا يرى إلا الله– لم يقل أعوذ بمعافاتك من غضب فلان–، ولكن الله– عز وجل– هو الذي يعطي ويمنع، وهو الذي يرفع ويخفض، وهو الذي يقبض ويبسط –سبحانه وتعالى– (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) [فاطر : ٢] إذًا كلُّ شيء بيد الله، وهذا هو الأعمى والبصير.

ـــ وقيل: الأعمى والبصير إما متعلق بنص الآية الأولى وهو خزائن الله وعلم الغيب وإني ملَك– وهذا هو المعنى الأول كما ذكرنا–، أو متعلق بـ (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) [الأنعام : ٥٠] وهذا هو المعنى الثاني :

[٨] - [عن عائشة أم المؤمنين:] فقَدْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الفِراشِ فالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي على بَطْنِ قَدَمَيْهِ وهو في المَسْجِدِ وهُما مَنْصُوبَتانِ وهو يقولُ: اللَّهُمَّ أعُوذُ بِرِضاكَ مِن سَخَطِكَ، وبِمُعافاتِكَ مِن عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ بكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَناءً عَلَيْكَ أنْتَ كما أثْنَيْتَ على نَفْسِكَ.
مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٤٨٦ • [صحيح] • أخرجه مسلم (٤٨٦)

فمن سيتبع الوحي هو البصير، ومن يترك الوحي هو الأعمى، وعلى قدر ما يزداد الإنسان اتباعًا للوحي على قدر ما يزداد بصيرة ... **وعلى قدر ما يبتعد عن الوحي على قدر ما يزداد عمىً**؛ لذلك تقييم الناس للأمور من غير وحي هو عمى... مهما كان ذكي ومهما كان على فهم وعلم، فتقييمك للأمور من غير وحي هو نوع من أنواع العمى، فقمة الاستبصار تأتي مع اتباع الوحي (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) [الأنعام : ٥٠] كأن النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول لهم: أنا أمامي وحي وأنا أخطو وأسير كما أمر الوحي(إِنْ أَتَّبِعُ) قمة الاتباع للوحي، فأنا عبد مثلي مثلكم انتظر الوحي من الله وانتظر الحكم من الوحي.

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) [الأنعام : ٥٠]

- قيل (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ): أي أتخلطون بين مقام الربوبية ومقام العبودية؟!،
- وقيل: (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ): أي ألا تعلمون أني رسول ليس معي إلا وحي؛ فلا تطلبوا مني غير الوحي.

إذًا كما قلنا هناك أناس مشغولون دائمًا بطلب آيات حسية: يريدون سلم في السماء، ونفق في الأرض، وكتاب في قرطاس، وملائكة، وخزائن الله؛ وعلم للغيب... ومن كان هذا حاله لن ينتفع بالقرآن.

ولكن من سينتفع بالقرآن؟!

الذي سينتفع هو الخائف من يوم القيامة، والذي يوقن بالغيب...أن هناك مستقبلا سيحدث فيه شيء ما.

فالمشركين والكفار حتى الفراعنة عندما كانوا يدفنون أحدًا منهم كانوا يضعون معه بعض الأدوات المنزلية، لماذا؟؟

يقولون : لكي يجد متاعه عندما يستيقظ؛ ففكرة البعث هي في فطرة الإنسان حتى لو حاول أن يهرب منها أو يحرفها فهي في داخل فطرته ، حتى اليهود عندما أرادوا أن يراوغوا قالوا: أن هناك بعث ولكن سنُعَذب سبعة أيام فقط ، يريد أن يهرب بمقولته هذه! ، والمشرك قال: لا يوجد بعث ؛ هروبًا أيضًا ، وبعض الناس قالوا: يوجد بعث ولكن...

(ولئن رُجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى)[فصلت: ٥٠] يريد أنه سيدخل الجنة، وبعضهم قال: الغَني في الدنيا سيكون غنيًا في الآخرة، إذًا فداخل فطرة الإنسان الإيمان بالبعث.

إذًا الخائف فقط، الذي سماه النبي-صلى الله عليه وسلم- "واعظ الله في قلب كل مسلم"[٩]، هذا الخائف هو من سينتفع بالقرآن.

لذلك (وَأَنْذِرْ بِهِ) [الأنعام : ٥١] أي بالوحي "القرآن"

(وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ) [الأنعام : ٥١]

فهؤلاء من يستفيدون لا غيرهم، أما من سيظل يريد خزائن الله، وعلم الغيب لن يستفيد بشيء، وأغلب من يريد هذه الحلول يريدها لحل مشاكله الدنيوية فقط، فهو يتعامل مع الدين كحل للمشاكل الدنيوية.

وهناك أمر يجب أن نفهمه؛ وهو أن الالتزام الحقيقي ليس مجرد أنه يغير ظاهرنا فقط بل هو معنى يغير عقيدة بداخلك... فهو ليس أمرًا لتحسين نفسيتك فتلتزم لتتحسن نفسيتك، ولا لكي تحل مشاكلك الدنيوية، ولكن الالتزام عبودية لله، فأنت عبد لله تبحث عن مراد الله، فتنظر فيما يُرضِي الله فتفعله؛ هذا هو الالتزام.

والرسول -صلى الله عليه وسلم- جاء لكي يعرفنا ماهية العبودية، فالباحث عن مراد الله في العبودية هو من يستفيد من الرسالة والوحي، أما من يبحث عن حلول مشاكله الشخصية فهذا لن يستفيد شيء من الرسالة، لأنه يأخذ من الدين ما يناسب هواه... أما إذا تصادم الدين مع أهوائه وشهواته فيتركه!

تبشير و إنذار

[٩] - [عن النواس بن سمعان الأنصاري:] ضربَ اللهُ مَثَلًا صِراطًا مُسْتَقِيمًا وعلى جَنْبَتَيْ الصِّراطِ سُورانِ فيهما أبوابٌ مُفَتَّحَةٌ وعلى الأبوابِ سُتُورٌ مُرْخاةٌ وعلى بابِ الصِّراطِ داعٍ يقولُ يا أيُّها الناسُ ادْخُلوا الصِّراطَ جَمِيعًا ولا تعوجُوا وداعٍ يَدْعُو من فوقِ الصِّراطِ فإذا أرادَ الإنسانُ أنْ يفتحَ شيئًا من تِلْكَ الأبوابِ قال ويْحَكَ لا تَفْتَحْهُ فإنَّكَ إنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ فالصِّراطُ الإسلامُ والسُّورانِ حُدُودُ اللهِ والأبوابُ المُفَتَّحَةُ مَحارِمُ اللهِ وذلكَ الدّاعِي على رَأْسِ الصِّراطِ كتابُ اللهِ والدّاعِي من فَوْقَ الصِّراطِ واعِظُ اللهِ في قلبِ كلِّ مسلمٍ
ابن كثير (٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن ٤٣/١ • إسناده حسن صحيح • أخرجه الترمذي (٢٨٥٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٣٣)، وأحمد (١٧٦٣٤)

ثم بعد ذلك يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه أن دعك منهم لأن وظيفة الرسل هي الإنذار والتبشير، كما قال الله تعالى: (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) [الأنعام : ٤٨].

ثم سيأتي لنا نموذج للإنذار ونموذج للتبشير؛ نموذج الإنذار (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ)، نموذج التبشير(وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) [الأنعام : ٥٤]، وهذه هي وظيفة النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يُخَوِّف المعْرِض الخائف من المستقبل ولم يؤمن بعد، أما من عصى وقَبِلَ الإنذار وخاف فقل له (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) ، فعليك أن تجمع بين الإنذار والبشارة.

(وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) [الأنعام : ٥١]

إذًا يوجد معنيين لهذه الآية تُعرِّفُنَا من سيقبل الدعوة:

١. من سيعلم أنه ليس له من دون الله ولي ولا شفيع، وأن المتصرف الأوحد والمدبر الأوحد للكون هو الله سبحانه وتعالى.

٢. الخائف من البعث.

هؤلاء هم المستفيدون من الدعوة؛ وهناك آيات كثيرة تتحدث في ذلك...وأكبر مثال عليها إيمان الجن، فضرب الله مثلا للمشركين بمسألة إيمان الجن في موضعين من القرآن: في سورة الجن وفي سورة الأحقاف؛ لأن العرب كانوا يعظمون الجن وكانوا يخافون منهم، لأنه كان لديهم أساطير عن الجن، بل كان العرب عندما ينزلون وادي مهجور يقولوا: نعوذ بسيد هذا الوادي، كما في قوله تعالى:

(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) [الجن : ٦]، لذلك الله يقول لهم في سورة الإسراء (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) [الإسراء : ٥٧] أي أن من تدعونهم من الجن هم يعبدون الله في الحقيقة، فيخبرنا الله أن من أهم أسباب إيمان الجن (وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا) [الجن : ١٢] معرفتهم ويقينهم إنهم ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع؛ وهذا هو المعنى الأول

(وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا) [الجن : ١٢] هذه في أي سورة؟ في سورة الجن.

الموضع الثاني لإيمان الجن في سورة الأحقاف (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) [الأحقاف : ٢٩] خائفين (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ () يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأحقاف : ٣٠-٣١] إذًا هناك سببان جعلا الجن يؤمنوا:

١- (وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا)

٢- (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)

نفس الاسباب التي وردت هنا في آية الأنعام (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) [الأنعام : ٥١] يقين أن ليس لهم من دون الله ولي لا شفيع، يقين أنَّه هناك بعث وسيُحاسبون... هذا يجعل أي إنسان يتأثر فورًا بالقرآن ويؤمن به.

(وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ () وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنعام :٥١،٥٢]

الله سبحانه يقول للنبي -صلى الله عليه وسلم- هؤلاء الذين يطلبون منك الآيات، هذه ليست وظيفتك، إنما وظيفتك البشارة والنذارة، وقُل للذين يطلبون آيات كثيرة أنا لا أملك خزائن الله ولا أعلم الغيب وأنا لست ملَك، ثم أعرِض عنهم والتفت إلى (الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ) وأنذرهم؛ نتيجة هذا الإنذار أن هناك مَن آمن، لكن كانت النتيجة أنَّ أغلب مَن آمن مِن هؤلاء هم الفقراء (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا) [هود : ٢٧] الذي تأثر بآية ٥١ (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ) هم الفقراء.

الداعية الذي كان يتمنى أن مَن يؤمن به هم الأغنياء حتى ينشروا الدين ليس لأنه يريد المال منهم، ولكن حتى ينشروا الدين، وبسبب سلطانهم (**إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن**)[١٠]. فالذي حدث أنَّ الأغنياء لم يؤمنوا، لماذا؟! لمَ في الغالب دائمًا الأغنياء لا يؤمنوا؟

دائمًا الغني –إلا من رحم الله– يشعر أنَّ ما معه من أسباب يجعله غير محتاج للدين، يقول لمَ أحتاج الدين؟ وماذا أفعل به؟ ولهذا قلنا أنَّ هذا هو أخطر مفهوم عن الدين، خطر جدًا أن يصل الدين للناس هكذا؛ أنه يُحل لك مشاكلك، لذلك بعض العلماء يقول من الخطأ استخدام شعار الإسلام هو الحل، وليكن الشعار" **الإسلام هو الحق**"، لأنك لو أخبرتهم أنَّ الإسلام هو الحل –وهو الحل قطعًا– لكنَّه لو دخل الإسلام على هذا الشعار وظل لمدة عام ولم يجد أنَّ الإسلام هو الحل، هو لن يكفر بك فقط ولكنَّه سيكفر بالإسلام.

إذًا فالأغنياء لا يؤمنوا اعتقادًا منهم أنَّ معهم الأسباب فيقول لمَ أؤمن؟!

عندما تقول له: الإسلام هو الحل، يقول لك أنا لا توجد لدي مشاكل أريد لها حلًّا! أنا لا أحتاج، فلا يؤمن والعياذُ بالله ...استغناء!!!

لذلك عندما ذكر الله شروط مَن يؤمن: أنه يخاف، وفي نفس الوقت ليس له من دون الله ولي ولا شفيع ...يعلم أن الله هو الذي أعطاه المال، هذا المال من عند الله سبحانه وتعالى، وهو قادر أن ينزعه منه.

لكن الذين آمنوا بك فقراء (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) [الأنعام : ٥٢] لكن في ذات الوقت ليس معنى أنَّهم فقراء أنهم أتوا يريدون المال، ماذا قال الله؟ (يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) يريدون إرضاء الله وحده، غير منشغلين بشيء آخر.

المشركون قاموا بتصرف خبيث جدًا:

- **أول تصرف خبيث** قاموا به في السورة أن القادة المشركون المتبوعون،ماذا فعلوا؟ (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) [الأنعام : ٢٥] ، ادّعوا أنَّهم سيذهبون ليروا ماذا يقول هذا الشخص وجلسوا في المجلس يدّعون الاستماع، ثم قالوا هذا أساطير الأولين.

[١٠] - عن عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه قال إنَّ اللهَ يزَعُ بالسلطانِ ما لا يزَعُ بالقرآنِ
ابن باز (١٤١٩ هـ)، مجموع فتاوى ابن باز ٣٩٣/٢٧ • ثابت

- **التصرف الثاني الخبيث** : ماذا قالوا له؟... هل تعلم أننا كنا سنؤمن بك وقاربنا أن نؤمن وأن نجلس لك ونطيعك ونسمع كلامك، لكن شيء واحد فقط منعنا!!! -تخيل أن يسمع الداعية أنَّ كبار قومه جميعًا سيُسلمون لكن هناك شيء واحد فقط هو الذي يمنعهم- ما المانع؟ الفقراء، اطرد الفقراء...

ما الغرض من طردهم؟ - المانع من أن الأغنياء يؤمنوا نعم هو الكِبر- ، لكن أنا اسأل عن الغرض... بمعنى هل لو طرد الفقراء سيؤمن الأغنياء؟!...

الاجابة

لا، بل هذه خطة خبيثة؛ لذلك يقول الله تعالى (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) [الأنعام : ٥٥] حتى تكون سبيل المجرمين واضحة، وأجرم: أي قطع الثمرة؛ منعها أن تَكبُر، المجرم هذا قاطع الطريق. فالمجرم يريد أن يقطع الطريق على أهل الإيمان ليس قضيته الإيمان... بل هو يريد ألا يُحصل الفقراء أي شيء هو لا يستطيع تحصيله - نتيجة لكِبْره-، وفي ذات الوقت يطرد المؤمنين ويجعل الناس ينفضوا حول النبي -صلى الله عليه وسلم- (لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا) [المنافقون: ٧]

استعمال سلاح المال حتى يحصل انفضاض؛ فبالتالي يصبحوا كلهم سواء (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً) [النساء: ٨٩] يريد أن يكونوا جميعهم كفار، وفي ذات الوقت هؤلاء الناس ينفضوا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فهذا تصرف خبيث جدا.

أيضًا هو دخل من مدخل خبيث؛ لم يقُل له اطردهم وأعطيك مالا، لم يقُل للداعية اطرد الفقراء وأعطيك خمسون ألف جنيهًا، بل قال له اطرد الفقراء ومن ثم أُصبح مؤمن، هو يعلم أنَّ الداعية يريده أن يؤمن، يفهم جيدًا أنَّ الداعية لا يبالي بالمال، لكنَّه يفهمه، ويفهم من أي الأبواب يدخل له...أي أنَّه لم يقُل له اطردهم وأُزوجك أربعة مثلا، بل قد يقول اطردهم وأجعلك تظهر في قناة فضائية تدعو إلى

الله وأقوم بفتح لك طرق في الدعوة...يقول له اطردهم وفلان سيلتزم إن طردتهم... يقول له اترك هؤلاء واشتَغِل في الدعوة بالطريقة الفلانية!!!

لو دخل له من مدخل لو لم تطردهم سأقوم باعتقالك مثلا... فلن يطردهم ولن يخاف، سيقول له: اعتقلني ولن أطردهم، لو قال له: لو لم تطردهم لن أعطيك المال سيقول له: لا أريد المال، إنما يدخل له من مدخل أمنية الداعية... كما ذكرنا كثيرا من قبل قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) [الحج: ٥٢] وأمنية الداعية هي إيمان قومه. فالشيطان دائمًا يأتيك فيقول: افعل كذا كي يؤمنوا، تنازل عن كذا كي يؤمنوا، لا تقُل هذه الآية حتى يؤمنوا، فيأتيك من هذا المدخل.

نحن بالطبع نتكلم عن الدعاة الحريصين على الإيمان ،الدعاة الحقيقيين... لا عن الداعية الذي انتكس ويريد المال، فيأتيه يقول له غيّر في الدين، وسأجعلك تسافر للخارج فيوافق، فهذا ليس مَحِل حديثنا، الحديث أنَّه يدخل من مدخل الخبيث يدخل لك من أُمنيتك يقول لك: لو قُمت بطردهم سوف نؤمن جميعنا، أو لا تُجلِسهم في الصف الأول –حسب الروايات– أو خصّص لنا مجلسًا لا يجلس أحدًا منهم معنا، هذا تمييز، أنت هكذا تُصادم دعوتك، **من أصول دعوتك المساواة بين الناس في الصلاة وتلقي العلم**، هذه أصول دعوتك في الأساس، وإلا فسوف تُغيّر هذه الأصول من أجلهم، الدين يرغب الناس فيه وليس يرغب الدين إلى الناس!!! هذه أصول لا تتغير. ثم أنت ما غرضك من الشخص الذي تدعوه؟ لم تكلمه في الدين؟ لكي (الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) [الأنعام : ٥٢] فمن يستجيب هو أولى وأحق بك منهم...

ليست القضية هي معايير أهل الدنيا من الغنى والفقر .

وتلك هي النقطة الثانية الخطيرة ...إياك كداعية أن تؤثر فيك معايير أهل الباطل...خطر جدا أن الداعية وأهل الدين يتأثروا ويقيموا الأمور بمعايير أهل الباطل ، وهذا بدأ يحدث عندنا دون أن نشعر. بدأنا نُقيّم الناس ونُقيّم الأفكار بمعايير أهل الدنيا ليس بمعايير الدين، ربنا يقول في سورة البقرة (وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) [البقرة : ٢٢١] هل تعلم (وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) ماذا تعني؟ أنت أُعجبت به، لماذا؟

وهذا ليس حراما،الإعجاب الفطري بشخص كافر هذا ليس حراما-بمعنى لو واحد كافر متميز عقليا ودنيويا لايَحرم أن تعجب به... بدليل إن الرجل المسلم ممكن يتزوج امرأة نصرانية تعجبه. أو أحد أقربائه أبوه ، أمه ، ابنه كافر ويحبه الحب الفطري -نعوذ بالله من ذلك أسأل الله ألا يقدرها على أحد فينا - هناك فرق بين الموالاة الدينية والحب الفطري للكافر. لذلك ينكروا علينا يقولوا: كيف أنتم تقولوا إن عليك أن تتبرأ من الكافر وفي نفس الوقت مباح الزواج من الكتابيات ؟؟ يجب التفريق؛ الحب الفطري والرغبة الفطرية التي في البشرغير الولاء الديني.

الشاهد انتبه من كلمة (وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) أي من الممكن تُعجب بشخص كافر متميز دنيويا لكن تقييمك النهائي إن العبد مؤمن أفضل منه ؛ إعجابك به دنيويا لا يجب أن يؤثر على معيار الدين. وتلك هي الخطورة عند تقييم الأشخاص!، مثلا المذيع الفلاني ، أوالرئيس الفلاني سيءو ننتقده ما السبب؟ ونأتي بمبررات غير شرعية... فلما نقيم مثلا أتاتورك ونقول أنه ضال علينا أن نُقيّمه تقييم شرعي. يجب ألا يكون كل تقييمنا وننادي

" انتخبوا الإسلاميين من أجل الاقتصاد"، أتاتورك نهض بالاقتصاد؛ هل هذا يجعله صالحا؟!!... بمقاييس أهل الباطل هو مصلح!...فبهذا ستتغير قناعات الناس فيضلوا.. واضح؟...فإياك أن معايير أهل الباطل تؤثر عليك. من معايير أهل الباطل الغنى والفقر، من معايير أهل الباطل الكثرة والقلة...أليس كذلك؟ فعلى هذا تختار المنهج الذي يتبعه ويعجب الكثرة، المنهج الذي يأتي بالمال سريعا وكثيرا... هذه ليست تقييمات أهل الحق. فأحيانا الدعاة يتأثروا في دعوتهم بمعايير يفرضها عليهم الواقع، أو يفرضها عليهم أهل الباطل؛ فقد يكون من هو فقير أعمى مسكين يحضر دروسك فتقول هذا لن استفيد منه بشيء في الدعوة! انتبه! أنت لا تقيمه من نظرة مادية - أي أن هذا لا تطمح أن تستفيد منه ماديا- لا ، بل أنت تقول هذا لن استفيد منه في الدعوة، ماذا سيفعل !!!

تذكر أن الله عاتب النبي -صلى الله عليه وسلم- في أعمى "ابن أم مكتوم" رضي الله عنه، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- مشغولا بأن يؤمن صناديد قريش الكبار؛ فربنا عاتبه في أعمى؛ فالمعايير هذه حين تختلط على أهل الدين يتحول- والعياذ بالله- فيضع نفسه في مقام ليس له... لذلك ربنا يقول للنبي-صلى الله عليه وسلم- (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) [الأنعام : ٥٢] هذه ليست وظيفتك.

ديننا ليس كدين اليهود والنصارى، ففي دينهم العالِم الديني له سلطة على البشر، يمكن أن يطردهم من الرحمة والمغفرة ، يقول لشخص ما:أنت لن يُغفر لك لقد هلكت! يفزع الرجل ويسأله ما العمل إذاً؟ يُجيبه: ادفع كذا وكذا مقابل الحصول على المغفرة!

أما ديننا فليس كذلك، لذلك هناك مواقف لا يكون فيها الداعية مُخيراً في التعامل مع الناس، يقول الله عز وجل: (وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى) [عبس : ٨] لو أتاك فقير أعمى مسكين به جميع العيوب –في نظر الناس– وجاءك يسعي ويُكافح من أجل أن يتعلم؛ فلو طردته فإنك تظلمه، ليس من حقك أن تطرده، لذلك كان رشيد رضا يُسقط هذا على التعليم الديني، فيقول أن معلمي الدين الذين يُعلمون الدين العام؛ مثلاً مُحَدِّث يُحدث الناس بأحاديث عامة، أو يفسر لعامة الناس ليس من حقه أن يطرد أحداً من المجلس (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنعام : ٥٢] وأما المجالس الخاصة فلها شروط وضوابط مختلفة.

الإنسان الذي يحتاج إلى تعلم الدين لا يصح أن تكتم العلم عنه " **مَن كتَم عِلْمًا تَلجَّم بلجامٍ مِن نارٍ يومَ القيامةِ**"[١١] لأنه ليس من حقك أن تكتمه؛ هذه نعمة من الله عز وجل... فليس من حقك أن تقول لن أُعلم فلاناً! مع أنه أتى راغباً وطالباً للعلم، وهذا ما أشار إليه رشيد رضا في بحث جميل عنوانه "أتباع الأنبياء ليسوا عبيداً للأنبياء" فلماذا يُصر بعض الدعاة والشيوخ أن يحولوا أتباعهم عبيداً مثل الطرق الصوفية مثلاً؟! يكون الطالب أشبه بالعبد عند الشيخ، ومن يعترض يُطرد وهكذا. بعضهم يطردهم عندما يحاسبوه أو يسألوه وهذا ليس من حقه (فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنعام : ٥٢]

يقول رشيد رضا: كان أتباع المسيح اسمهم تلاميذ وحواريين، وكانوا يسمونه المعلم، وأتباع النبي –صلى الله عليه وسلم– كان اسمهم الصحابة وهذا رفعة لمنزلتهم أكثر؛ عندما يقول النبي –صلى الله عليه وسلم– أنهم أصحابه فهذا تشريف لهم.

[١١] - [عن أبي هريرة:] مَن كتَم عِلْمًا تَلجَّم بلجامٍ مِن نارٍ يومَ القيامةِ
ابن حبان (٣٥٤ هـ)، صحيح ابن حبان ٩٥ • أخرجه في صحيحه

دخل رجل مجلس النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو جالس وسط أصحابه وهو لا يعرف النبي –صلى الله عليه وسلم– لأنه (يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) [المؤمنون : ٣٣] ولكل داعية في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة (يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ) [الفرقان: ٧]

فمعيار(وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) [البقرة : ٢٢١] لو أصبحت معياراً عند الدعاة– أي أن يصبح من يعجبك وما يعجبك هو الصواب – فهذا إنذار خطر؛ أنْ تنتقل معايير أهل الدنيا لأهل الدين فيُقيِّمون الأفكار الشرعية بمعايير دنيوية، يُقيّم الشخص الملتزم بمعايير دنيوية فهذا خطأ فادح. المفترض أن تقيم الشخص الملتزم على أُسس مثل: هل هو بار بوالديه؟ هل هو متقن للفرائض؟ تُقيّمه على هذا الأساس، لذلك كان أبو العالية –من التابعين أو تابعي التابعين– لما كان يسافر لأحد العلماء لطلب العلم، لا ينظر إلى عدد الحاضرين في المجلس، ولكن كان يقول: أرقب صلاته، أمكث فترة أراقب صلاته خاصة الفرائض، إذا وجدتُه يقيم الصلاة أطلب عنده العلم، وإذا وجدته يُقصّر في الصلاة لا أطلب منه علماً.

إذًا هناك معايير شرعية، اختلاط المعايير الشرعية بالمعايير الدنيوية نتيجة ضغط الواقع أو ضغط أهل الباطل خطر!

تخيل لما يقول الله عز وجل للنبي –صلى الله عليه وسلم– (فَتَطْرُدَهُمْ) وحاشاه –صلى الله عليه وسلم– (فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنعام : ٥٢]، وهناك حديث في صحيح الإمام مسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه كان ستة من الصحابة مع النبي –صلى الله عليه وسلم– وجاء المشركون وخاطبوا النبي –صلى الله عليه وسلم– طويلاً في أمر هؤلاء الستة وأنه لا يصح أن يجلس معهم لفقرهم وهكذا، فالحديث يقول: (فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع) ماذا وقع؟ لا نعلم، هل سيجعل لهم مجلساً خاصاً، هل همّ بشيء، هل فكر، هل تردد، هل سيشاورهم؟، الرواية لم تذكر(فوقع في نفس رسول الله ما شاء الله أن يقع؛ فأنزل الله –عز وجل– هذه الآية)[١٢]

[١٢] - [عن سعد بن أبي وقاص:] كُنّا مع النبيّ صَلّى اللّهُ عليه وَسَلَّمَ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقالَ المُشْرِكُونَ للنبيِّ صَلّى اللّهُ عليه وَسَلَّمَ: اطْرُدْ هَؤُلاءِ لا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنا. قالَ وَكُنْتُ أنَا وابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِن هُذَيْلٍ، وَبِلالٌ، وَرَجُلانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِما، فَوَقَعَ في نَفْسِ رَسولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عليه وَسَلَّمَ ما شاءَ اللّهُ أنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فأنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَداةِ والْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الأنعام: ٥٢].
مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٤١٣ • [صحيح]

الفقراء هم عماد الدعوة

للأسف كثير من الدعاة يعتقدون أن الحل في أموال الأغنياء التي يُمكن استخدامها لصالح الدعوة، ولكن يتفاجأون بأن معظم هؤلاء الأغنياء يمثلون عبئاً على الدعوة، لكن الفقراء الذين يدعون الله (بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) [الأنعام : ٥٢] هؤلاء هم عماد الدعوة؛ لذلك يقول الله عز وجل (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ) [الكهف : ٢٨] المعنى بالنسبة للنبي ﷺ أي: تريد زينة الحياة الدنيا لنصرة الدعوة- ممكن بالنسبة لغيره تريد زينة الحياة الدنيا ولا تريد الفقراء- لكن النبي ﷺ يريد هؤلاء الأغنياء من أجل نصرة الدين {فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنعام : ٥٢].

ابتلاء

(وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) [الأنعام : ٥٣] المعنى الأشهر الذي عليه جماهير المفسرين (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ) أي فتنا بعض المشركين ببعض المؤمنين ليقول المشركون استهزاء واستكباراً وسخرية: أهؤلاء الفقراء يعتقدون أن ما هم فيه منّة من الله؟ والله ليست منّة ولكن المنّة الحقيقة ما نحن فيه من الغنى!؛ هذا معنى الآية.

المشركون الله تعالى فتنهم وابتلاهم، ابتلاهم بماذا؟ ابتلاهم أن الذي سبقهم في الإسلام فقراء؛ هذا ابتلاء. وما إسقاط هذا على واقعنا؟ الفروقات بين الملتزمين وبين الناس وبعضهم عموما في الدين، هذه الفروقات والأخطاء التي عند الملتزمين وعند أهل الدين قد تكون فتنة لبعض الناس ألاّ يلتزم؛ واضح؟

أحياناً مثلاً شخص يريد أن يلتزم فيختلط بشخص ملتزم وديّن لكن عنده بعض الأخطاء، أخطاؤه هذه تُعد ابتلاء للثاني هل سيلتزم أم لا؟ وقد تكون سبباً في عدم التزامه متعللاً بأن فلاناً الملتزم أخلاقه سيئة! ما علاقة أن فلان الذى يصلي وأخلاقه سيئة بصلاتك أنت... هل هذا مبرر لتركك للصلاة؟! فقد يُبتلى بذلك.

أنت نفسك قد تُبتلى بسوء خلق عالم، بزَيغة الحكيم، بعالم يضل أو يزل زلة؛ هذه ابتلاءات؛ فالصادق لن تصده هذه الأشياء عن الالتزام... الصادق الباحث عن مراد الله عز وجل لن تؤثر هذه

الزلات والأخطاء في طلبه للعلم وزيادة الإيمان؛ ولابد أن توطن نفسك أن هذا سيحدث لأن هناك اختلافات كثيرة في نقاط معينة بين أهل الإيمان في أي مكان.

المشركون رأوا الفقراء فصدهم هذا عن الإيمان، وأنت قد ترى ما هو أشد من الفقر! قد ترى أخطاء وزلات وخلافات... قد ترى زَيغة حكيم، قد ترى زلة عالم ؛فلو صدتك مثل هذه الأشياء فاعلم أنك قد فُتنت.

يمكن أن يُفتن شخص لأن حذاءه قد سُرق من المسجد، فيقرر ألاّ يذهب للمسجد أبداً! فهذا قد فُتن بأبسط الأشياء، فهناك من يفتن بأبسط أو أشد من هذا.

وهناك أمثلة كثيرة؛ مثلاً قد يجد من سبقه في طلب العلم، فيقول –لمن يسأله لم لا تطلب العلم– فلان قد فرغه الله عز وجل ورزقه من المال ولذلك سبقني في طلب العلم ولولا ظروفه هذه ما طلب العلم ، ولو رزقني الله مثله لفعلت كذا وكذا... وآخر فلان سبقه في حفظ القرآن فيقول: لقد حفظه لأنه في كلية علمية معينة وأما أنا فكُليتي بسيطة، وتحاول اقناعه بأن حفظ القرآن ليس له علاقة بطبيعة كُليتك فلا يقتنع، فهذا قد فُتن بهذه الفروقات الفردية.

التفضيل الذى بين البشر جعله الله عز وجل فتنة، قد يُفتن بها الناس عن الدين، هذه الفروقات الفردية بين الناس فتنة، فيمكن أن تجد مثلا من يتأفف من فلان فلا يحضر بجواره درسا ، أويحمل ضغينة في صدره من فلان ، حتى يصل به الأمر ألّا يحضر دروسه رغم أهميتها البالغة بالنسبة له، ورغم احتياجه إلى علمه ولكنه بسبب حسده وضيق صدره يضيع على نفسه كل هذا...مثلا فلاناً لا يريد أن يعمل مع فلان بسبب أن شيئا ما في نفسه تجاهه، فهذه الفروقات الفردية التي بين البشر قد تفتن الناس عن أشياء من دينهم وقد تفتن الناس عن كل دينهم...واضح؟

(وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) [الأنعام : ٥٣] فالكفار يقولون: أتريد أن تقنعني أن الإيمان منة عظيمة وأن الله اختار الفقراء وخصهم بهذه بالمنة العظيمة ولم يخترنا نحن أصحاب المال والجاه...كيف هذا !!!، كان من المفترض أن يختارنا نحن لمالنا وجاهنا، وما دام لم يخترنا فهذه إذًا ليست منة!!! كما قال ربنا (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) [الزخرف : ٣١] وبما أن القرآن لم ينزل على رجل من القريتين عظيم إذًا فليس بوحي ولا قرآن ! (أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) فيرد الله عز وجل (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) [الأنعام : ٥٣] الله أعلم من

يستحق النعمة، فلما ترى إنساناً لديه نعمة وأنت قصرت في طلبها؛ فاتّهم نفسك! (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) هم سيشكرون نعمة الإسلام بينما أنتم لن تشكروها (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ).

هناك معنى آخر ذكره ابن عاشور وقلّة قليلة من المفسرين...قالوا: الآية ٥٢ بيّنت أن المشركين طلبوا من النبي □ أن يطرد الفقراء، وقالوا لن نؤمن إلا إذا طردتهم، فالنبي □ لم يطرد الفقراء وبالتالي لم يؤمن الأغنياء فآية ٥٢ وضحت فتنة أغنياء المشركين بفقراء المؤمنين... آية ٥٣بتوضح أن بعض ضِعاف الإيمان فُتِنوا بالأغنياء المشركين وتعجبوا من أن يعطى الله عز وجل للأغنياء كل هذه الأموال دونهم! فقالوا معنى الآية: وكذلك فتنا بعض المؤمنين الفقراء ببعض المشركين الأغنياء؛ ليقول المؤمنون الفقراء أهؤلاء المشركون يعطيهم الله المال ولا يعطينا نحن؟ سؤال استنكاري...وهذا هو المعنى الثاني الذى أشاروا إليه.

فأحياناً بعض أهل الإيمان يتعجبون كيف أن المشرك معه كل هذه الأموال وهم فقراء مع أنهم مؤمنين، وهذا قد كَثُر جداً في الفترة الأخيرة؛ وهو ابتلاء الزمن المعاصر خاصة مع استضعاف المؤمنين وقلة حيلتهم وعدم تقدمهم الدنيوي، فيتبادر هذا السؤال إلى أذهان البعض: أيُعقل أن يختصهم الله عز وجل بالأموال من دوننا؟أيعقل أن الله يحبهم ويفضلهم عنا ؟ (أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) فربنا عز وجل يقول لهم (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) [الأنعام : ٥٣] ربنا –سبحانه وتعالى– يعلم من يأخذ فيشكر ومن يأخذ فيكفر، فأعطى لهم هذه الأموال لتكون عليهم حسرة وليزدادوا إثماً؛ فهذا استدراج.

والمعنى الثاني الذى ذكره ابن عاشور وبعض المفسرين غير مشهور ولكن قلته لكم من باب العلم، لكن الأشهر والذى عليه جماهير المفسرين هو المعنى الأول أن الذين قالوا (أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) هم الكفار، قالوا ذلك استهزاءً بضِعاف وفقراء المؤمنين.

(وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) [الأنعام : ٥٤]

هناك ثلاثة أصناف من الناس:

- الصنف الأول: يريد المال فقط، هذا تُعرض عنه تماماً
- الصنف الثاني: الذي تنذره فيؤمن ويستجيب ويدعو الله بالغداة والعشي هذا تلزمه وتجلس معه
- الصنف الثالث: الذي يعصي ولكنه يرجع ويأتي ليسمع أو كافر فيؤمن، فهذا أيضاً لا تطرده بل استقبله بالحفاوة وأعطهِ مزيداً من الحفاوة، لماذا؟ حتى لا يشعر بالنقص ، دائماً من يأتي إلى مجتمع جديد يريد من هذا المجتمع أن يحتويه، فمثلاً عندما يجلس جماعة من الملتزمين في المسجد ثم يدخل عليهم شخص عاصي، تبدو عليه أمارات المعصية التي يقع فيها منذ زمن طويل ، فهو لا يُحسن الوضوء ولا الصلاة، فينبغي عليهم ألاّ يرمقوه بالأبصار ويُشعروه أنه أقل منهم وأنه سيء.

بعض المفسرين قالوا معنى جميل جداً؛ قالوا: (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ) يعني من سيسلمون لأول مرة (بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) الأصل أن القادم هو من يُلقي السلام على الجالس، إلا في حالة واحدة؛ أن يكون القادم حديث العهد بالالتزام فعندها تقوم له أنت وتُلقي عليه السلام، وهذا أمر للنبي ﷺ بأن يُسلم عليه ويهش له ويبش؛ رعاية لخاطره وجبراً له، وهذا مهم جداً، ثم تبشره وتقول له (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا) [الأنعام : ٥٤] بعدما أنذرته وخاف وتردد وارتكب معاصي ثم جاءك بعدها، فاستقبله ولا تؤنبه وتلومه على تأخره!

(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ) وسنتكلم عنها بالتفصيل المرة القادمة بإذن الله تعالى

(ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنعام : ٥٤] إذًا أنت مأمورٌ أن تستقبله وتحتفي به ؛ **لذلك جبر الخواطر مهم جداً**، ومن المعاني الجميلة جداً في هذا الصدد قول الإمام أبو الحسن الندوي: لما قال الله سبحانه وتعالى على الثلاثة الذين خُلِّفوا في سورة التوبة (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ () وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ) [التوبة : ١١٧،١١٨] يقول المفسرون كان المتوقع أن يبدأ الله عز وجل بقوله: لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم... فلماذا قال الله عز وجل في الآية التي قبلها (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) بنفس لفظ التوبة؟ فلم تأت مثلاً "لقد رضي الله عن النبي والمؤمنين والأنصار" بل جاء معهم بلفظ التوبة كما جاءت مع الذين خُلفوا معهم وهذا ليُشعر

الثلاثة الذين خُلفوا **أن التوبة ليست نقص**، فهم مثل السابقين ولكنهم تأخروا عنهم بآية فقط لأنهم تأخروا عن الغزوة؛ وهذا يجعل الإنسان العاصي لا يشعر أن كلمة التوبة كلمة نقص، ولا يشعر بمركب النقص في المجتمع، وأنه الذى كان يفعل المعاصي ثم تاب، ولكنه يدخل وسط إخوانه، ولكن لأنه تأخر عنهم في الغزو فتأخر عنهم بآية فقط... فتأمل الحكمة الربانية في معاملة الناس، (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنعام : ٥٤] فلذلك دائماً القادم تهش له وتبش وتُسلم عليه، ويُستحب أن تقوم له وتضحك له وتبشره.

المرة القادمة إن شاء الله نتكلم عن معنى (سُوءًا بِجَهَالَةٍ) وتكملة الآيات، نكتفي بهذا القدر. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيراً.